رسالة

عِقْدُ الجُمان لِمُرِيدِ العِرْفَان

للشيخ سيدي الحاج علي بن أحمد
الدرقاوي الإلغي
(ت.1328هـ)

إعداد:
الحبيب الدرقاوي

1441هـ / 2020م

رِسالَـــةُ

عِقْدُ الجُمَانِ لِمُرِيدِ العِرْفَانِ

للشيخ سيدي الحاج علي بن أحمد
الدرقاوي الإلغي
(ت.1328هـــ)

إعداد:
الحبيب الدرقاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ على سَيِّدِنَا مُحمَّدٍ، وآلِهِ، وصَحْبِهِ

الحَمْدُ للهِ الذِي مَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَةِ إِيجَادِهِ وإِمْدَادِهِ، وهَدَاهُمْ إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ بِإِرْشَادِهِ، والصَّلاَةُ والسَّلاَمُ عَلَى مَنْ أَتَى خَلْقَهُ بِمُرَادِهِ، وعلَى جَمِيعِ مَنْ كانَ مِنهُم فِي سَوَادِهِ(1).

وبَعْدُ؛ فَهذِهِ نُبْذَةٌ فِي كَيْفِيَةِ السُّلُوكِ إِلَى مَالِكِ المُلُوكِ، سَمَّيْتُها: "**عِقْدُ الجُمَانِ لِمُرِيد العِرْفَانِ**"(2)، أُنَبِّهُ فيها جَمِيعَ الأحبَابِ، لِتُنَوِّرَ لَهُم الأَلْبَابَ، ويَقِفُوا باقْتِفَاءِ(3) آثَارِهَا على البَابِ، فَيَصِيرُونَ فِي حَضْرَةِ ربِّ الأرْبَابِ؛ ومَنْ لَزِمَ البابَ، يُرْفَعُ لَهُ الحِجَابُ.

فَمَنْ أرَادَ أنْ يَسِيرَ إِلَى حَضْرَة رَبِّهِ، ويأْنَسَ(4) بِلَذِيذِ مُخاطَبَةِ قُرْبِهِ، ونَظُمَ(5) فِي سِلْكِ أَهْلِ مَحَبَّةِ وحِزْبِهِ، وهَامَ بِصَبَابَتِهِ(6) وعِشْقِهِ وحُبِّهِ، وشَرِبَ مِن أَلَذِّ الشَّرَابَ وأَعْذَبِهِ، وهُوَ شَرَابُ التَّوحِيدِ، على كُرْسِي الوَحْدَةِ والتَّفْرِيدِ(7)؛ فَلْيُوَاظِبْ(8) ويُلاَزِمْ

---

(1) في مِلَّتِهِ وأُمَّتِهِ

(2) **العِقْدُ:** ما يُوضَع في العُنُق لِلزِّينَةِ، **والجُمَانُ:** اللُّؤْلُؤ. **لِمُرِيد:** أي: لمن يُرِيد. **والعِرْفَان:** مَعرِفَة الله تعالى.

(3) بِتَتَبُّعِ.

(4) يَطْمَئِنَّ ويَفْرَحَ.

(5) انْخَرَطَ وانْضَمَّ

(6) تَحيَّرَ واضْطَرَبَ بشدة حُبِّهِ وَشَوْقِهُ.

(7) أي: توحيد الله وتَفْرِيدُه بالعُبودِية.

(8) فَلْيُدَاوِمْ.

ذِكرَ اللهِ ذِكراً كَثيراً، بالغَدَاةِ والعَشِيِّ[1]، يُريدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ على كُلِّ حالٍ؛ قِيَاماً وقُعُوداً، وعلى جُنُوبِهِ، وفي كُلِّ وَقتٍ من الأوْقَاتِ، لِيَتَقَوَّتَ به خَيْرَ الأَقْوَاتِ[2]، فإنَّ للأشْبَاحِ[3] قُوتاً، وللأرْوَاحُ قُوتاً؛ وَقُوتُ الرُّوحِ: ذِكرُ اللهِ سِرّاً وجَهْرا، لِسَاناً وفِكْراً.

وَلْيَجْتَنِبْ جميعَ المَضرَّاتِ؛ من مُخالَطَةِ العُمُومِ، والنِّسَاءِ، والصِّبْيَانِ، وجَميعَ مَجالِسِ السُّوءِ، حتى مَجالِسَ أَولادِهِ في دَارِهِ، فإنَّ ذلكَ يَضُرُّ بالقَلْبِ أَيَّ ضَرَرٍ؛ وَلَمْ يُفْلِحْ مَن أَفْلَحَ[4] إلاَّ بصُحْبَةِ المُفْلِحِينَ، ولاَ فَسَدَ مَنْ فَسَدَ إلاَّ بصُحْبَةِ المُفْسدِينَ؛ قال النبيُّ ﷺ: ((المَرْءُ على دِينِ خَلِيلِهِ[5]، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ[6]))[7]، وكما قِيلَ[8]:

عَنِ المَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَن قَرِينِهِ   فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنَ يَقْتَدِي

وَلْيَجْتَنِبْ كَثرَةَ الأَكْلِ، فَإِنَّ البِطْنَةَ تُخْمِدُ الفِطْنَةَ[9]؛ قال النبيُّ ﷺ: ((مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ))[10]، أو كمَا قالَ، وقَالَ فِيمَا هُوَ أَفْضَلُ[11]: ((فَثُلُثٌ

---

(1) صباحا ومساء.

(2) لِيأكل به أَلَذَّ الطعام.

(3) الأجساد والأبدان.

(4) مَنْ فازَ، وظَفِرَ بما أَرَادَ.

(5) صَفيِّهِ، وصُديقِهِ الخَالِصِ، وأهل وِدِّهِ.

(6) من يَتَّخِذْهُ صَفِيّا وصَدِيقاً.

(7) الحديث عن أبي هريرة؛ أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يُجالَس، (رقم الحديث: 4833): 259/4؛ والترمذي في السنن: أبواب الزهد، (رقم الحديث: 2378): 589/4.

(8) البيت لِطُرْفَةَ بن العَبْد، وهو من الطويل. انظر ديوانه: 32.

(9) الامتلاء الشَّديد من الطَّعام يُعْدِمُ الحِذْقَ والمَهارَةَ.

(10) والحديث بهذا اللفظ: أخرجه الحاكِم في المستدرَك على الصحيحين، من حديث المِقْدَام بن مَعْدِي كَرِبَ الكِنْدِيّ الصحابي: كتاب الرِّقَاق، (رقح الحديث: 7945): 367/4.

(11) أي: ما هو أفضل للمَرْءِ.

لِلطَّعَامِ، وثُلُثٌ للمَاءِ، وثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»[1]، وخَيرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُهَا[2]، وشَرُّ الأُمُورِ أفْرَاطُهَا[3]، ولْيَكُنْ وَاحِدٌ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، لاَ إِفْرَاطَ، ولاَ تَفْرِيطَ. والسِّرُّ الذِي وَضَعَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فِي الجُوعِ، مَا وَضَعَهُ فِي شَيءٍ مِن الأشْيَاءِ؛ أَلَمْ تَرَ أنَّ الإنْسَانَ إذَا شَبِعَ، يَشْتَهِي ويَتَمَنَّى أُموراً زَائِدَةً علىٰ مَا يَحْتَاجُ إليه؟، وأَمَّا إِذَا جاعَ، فَلا يَطْلُبُ سِوَىٰ ما يُقِيمُ به أَوَدَهُ[4]، ويُنْجِي بِه عُودَهُ[5]؛ وفي بعضِ الأَحَادِيثِ: «نِعْمَ الحَبِيبُ؛ الجُوعُ»[6]، وقد قُلْتُ فِي شُروطِ صَفَاءِ القَلْبِ، بَعْدَ مَعرِفَةِ شَيْخٍ:

أَيَا مَنْ يُرِيدُ تَنْوِيرَ القَلْبِ وَالصَّفَا ... وَيَعْرِفَ رَبَّ الرُّكْنِ وَالمَرْوَةِ والصَّفَا[7]
وَيَعْلُو عَلَىٰ الأَقْرَانِ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ ... بكَأْسِ ودَادٍ مِنْ شَوَائِبَ قَدْ صَفَا[8]
وَتَجْرِي عُلُومٍ مِنْ لَدُنِ مَالِكِ السَّمَا ... وَيَأْتِيهِ سِرُّهُ وَلَوْ فِي السَّمَا سَمَا[9]
وَيَسْمُو سُمُوَّ الشَّمْسِ فِي أُفُقِ العُلاَ ... وَيَكْشِفَ غَيْمَ الغَيْرِ عَنْ نَظْرَةِ الحِجَا[10]
عَلَيْكَ بِصَمْتٍ وَاعْتِزَالٍ وَذِكْرِهِ ... وَجُوعٍ؛ فَذِي الأَرْكَانُ يَا طَالِبَ الصَّفَا[11]

(1) هو تتمة للحديث قبله، بلفظ قريب منه؛ أخرجه ابن ماجه في السنن، عن المِقْدَام: كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهَةِ الشِّبَع، (رقم الحديث: 3349): 1111/2؛ والنسائي في السنن الكبرى: كتاب الوليمة، ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل، (رقم الحديث: 6737 و6778): 268/6.

(2) جمعُ وَسَطٍ؛ وهو ما بين الطَّرَفين، وما يتَوَسَّطُ الشيء.

(3) جمعُ فَرْطٍ؛ ما تجَاوزَ الحَدَّ.

(4) مَعاشَهُ.

(5) بَدَنَهُ وجَسَدَهُ.

(6) لم أقف عليه.

(7) الرُّكْن: الرُّكْن اليَمَاني من الكَعبة.

(8) الأَقْرَانُ: الرُّفَقَاءُ والجُلَسَاءُ (جمع: قِرْنٍ). وِدَادٍ: مَحَبَّةٍ. مِن شَوَائِبَ: مِن العُيُوبِ والأَقْذَارِ والأَدْنَاسِ، وما يُعَكِّرُ صفَاءَهُ.

(9) مِنْ لَدُنِ: من طَرَفِ. سَمَا: ارْتَفَعَ.

(10) الحِجَا: العَقْلُ.

(11) فَذِي: فَهَذِهِ.

ومَثَلُ مَن ذَكَرَ اللهَ بجُوعٍ ، كَمَنْ أَوْقَدَ[1] ناراً فِي حَطَبٍ يَابِسٍ صِغَارٍ ، فإِنَّهَا تَسْرِي فِي الجَمِيعِ ، وتَشْتَعِلُ إلىٰ أنْ تَستَأْصِلَ[2] الجَمِيعَ . وأَمَّا مَنْ ذَكَرَهُ بشِبَعٍ ؛ فكَمَثَلِ مَنْ أَوْقَدَهَا فِي حَطَبٍ رَطْبٍ ؛ فَفِي الابْتِدَاءِ يُلْقِي عليهَا حُزْمَةَ[3] حَطَبٍ ، ويُلْقِي أُخرَىٰ بَعْدَ أُخْرَىٰ ، ولَمْ يَتْرُكْهَا أَنْ تَشتَعِلَ ابتِدَاءً ، إِلَىٰ أَنْ تَنْطَفِئَ بكَثْرَةِ الحَطَبِ عَلَيهَا ؛ فَإِنَّ الأُمُورَ كُلُّهَا إِذَا كَثُرَتْ فِي الابْتِدَاءِ ، لاَ يَجِيءُ منهَا شَيءٌ ؛ فإِنَّ الذِّكْرَ فِي الذَّاتِ ، يَسْرِي فِيهَا سَرَيَانَ[4] المَاءِ فِي العُودِ ، فيُحْرِقُ كلَّ ظُلْمَةٍ وكَدَرٍ[5] يَكُونُ فِيهَا بسَبَبِ الشِّبَعِ ، ولاَ يَقْطَعُ ظُلْمَةَ هذَا إِلَىٰ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ الشِّبَعُ الآخَرُ ، فيَصِيرُ الذِّكْرُ دَائِماً فِي اشْتِغَالِهِ بحَرْقِ ظُلُمَاتِ الشِّبَعِ ، ولاَ يَزِيدُ شَيْئاً ، ومَهْمَا[6] انقَطَعَ الشِّبَعُ ، يَزْدَادُ تَنْوِيراً علىٰ تَنْوِيرٍ ، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[7].

والجائِعُ يَكونُ ضَعيفاً ، والضَّعِيفُ يَرْحَمُهُ اللهُ ؛ قالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[8].

والشِّبَعُ يُورِثُ الطُّغْيَانَ ، والقُوَّةَ ، والعُلُوَّ الكَبِيرَ ، والحَسَدَ ، والعُجْبَ ، والبُغْضَ ، والرِّيَاءَ ، والسُّمْعَةَ ؛ لأَنَّ النَّفْسَ التِي تَرْعَىٰ هذهِ الأَشْيَاءَ ، تَحْيَىٰ بِها ، والجُوعُ تَمُوتُ بهِ . ولَكِنْ ، يُرَاعِي الرَّئِيسُ رَأْسَهُ ؛

فَرُبَّ مَخمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ[9]

---

(1) أَشْعَلَ.

(2) تُزِيل.

(3) مجموعة أو رَبْطة.

(4) جَرَيَان.

(5) هَمّ وغَمّ، وكل ما يُفسِد ويُعَكِّر الصَّفاء.

(6) يريدُ: وَكُلَّمَا.

(7) سورة النور، الآية: 35.

(8) سورة القصص، الآية: 4.

(9) عَجُزُ بيت من قصيدة البُردة (الكواكب الدُّرِّيّة في مدح خير البرية)، للإمام البُوصِيري. مَخْمَصَة: شِدَّة الجُوع. التُّخَم:جمع تُخْمَة؛ وهي ما يصيب الإنسان من كثرة الطعام.

فإنَّ الجُوعَ الكَثِيرَ في الابْتِدَاءِ، يَضُرُّ ولاَ يَنْفَعُ، وخَيْرُ الأُمُورِ - كما مَرَّ - أَوْاسَطُهَا[1]، والإخْلاَصُ فِي الأُمُورِ هُو المَطْلُوبُ؛ كَمَا قالَ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[2]، وإنَّ الأَعْمَالَ أَشْبَاحٌ قَائِمَةٌ، والإِخْلاَصُ رُوحُهَا.

وَلْيَتَجَنَّب الفَقِيرُ الصَّادِقُ كَثْرَةَ الكَلاَمِ، فإنَّهُ يُورِثُ تَشْتِيتَ القَلْبِ[3]، وهُوَ بمَثَابَةِ مَنْ لَمْ يُحَصِّلْ مَاءَهُ فِي صِهْرِيجٍ إِلَىٰ أَنْ يَكْثُرَ، بَلْ سَاحَ[4] مَاؤُهُ؛ فَإنَّ ماءَهُ لاَ يَجْتَمِعُ فيهِ مَا يَمْلأُ قَلْبَهُ[5] لِقِلَّتِهِ. وكَثْرَةِ الأَوَّلِ - وهُوَ الأَكْلُ - تُورِثُ هَذَا الثَّانِي - أَيْ الكَلاَمَ -. وأَمَّا من جَاعَ، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، وأَحْرَىٰ[6] الكَثِيرَ.

تَمَسَّكْ بالأَوَّلِ، يَخْرُجْ لَكَ الكَنْزُ المَكْتُومُ[7]، والسِّرُّ المَخْتُومُ[8]، ويَطْرُدْ عَنْكَ مِن الكَلاَمِ، الوَصْفُ المَذْمُومُ.

والصَّمْتُ حِكمَةٌ؛ فمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللهِ، وقَلَّلَ مِن الكَلاَمِ؛ فَإِنَّ الأَسْرَارَ والحِكَمَ الرَّبَّانيَةَ تَمْلأُ قَلْبَهُ وقَالَبَهُ، ومِن كَلامِ الحُكَمَاءِ: «لَوْ كانَ الكَلاَمُ فِضَّةً، لَكَانَ الصَّمْتُ ذَهَباً».

(1) جمعُ وَسَطٍ؛ وهو ما بين الطَّرَفين، وما يتَوَسَّطُ الشيء.
(2) سورة البَيِّنة، الآية: 5. وحُنَفَاء: مَائِلِين ومُبْتَعِدِين عن الباطل.
(3) انشغَالَه.
(4) جَرَى.
(5) أي: قَلْبَ الصِّهْريج؛ وهو بَاطِنَه وداخِلَه.
(6) مِن بَاب أَوْلَى.
(7) الخَفِيُّ والمَسْتُورُ.
(8) المَحْفُوظُ والمَصُونُ.

وقالَ أَبُو مَدْيَنَ الغَوْثُ[1] :

وَلاَزِمِ الصَّمْتَ ، إلاَّ إِنْ سُئِلتَ ، فَقُلْ لاَ عِلْمَ عِنْدِي ، وَكُنْ بِالصَّمْتِ مُسْتَتِرا

فَلاَ تَجدُ حَكِيماً ، إلاَّ وَقَدْ اسْتَخْرَجَ حِكْمَتَهُ مِنَ الصَّمْتِ ، حتَّى أنَّ حُكَمَاءَ الفَلاَسِفَةِ مَنْ أَرادَ أَنْ يَسْتَنْبِطَ[2] شَيَئاً ، فَلاَبُدَّ أَنْ يَتْرُكَ الكَلاَمَ ، بَلْ يَدْخُلُ الخَلْوَةَ ، ويَعْتَزِلَ عَنِ النَّاسِ ، ولاَ يَنْطِقَ بِبِنْتِ شَفَةٍ[3] ؛ لأَنَّ كَثْرَةَ الحِسِّ تَمْنَعُ كَثْرَةَ المَعْنَىٰ ، بَل الحِسُّ ضُدُّ المَعْنَىٰ ، مَهْمَا تَقَوَّىٰ الحِسُّ ، يَضْعُفُ المَعْنَىٰ .

وَلْيَجْتَنِب الفَقِيرُ الصَّادِقِ مُخالَطَةَ النّاسِ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ ؛ وجِنْسُ الفَقِيرِ : الفُقَرَاءُ ، وأَهْلُ اللهِ ؛ فإنَّ الفَقِيرَ مِثْلُ المَرْأَةِ ، لاَ يَلْتَقِي مَع كُلِّ أَحَدٍ بالمَحَبَّةِ ؛ بَلْ مَنْ كانَ مِن أَهْلِ فَنِّهِ[4] ، فهُو الذِي يَلِيقُ بهِ أَنْ يَلْتَقِيَ بهِ ، ويَسْتَفِيدَ منهُ بذِكْرٍ ، أوْ مُذَاكَرَةٍ ، أوْ نَظْرَةٍ ، فالمَطْلُوبُ مِن الفَقِيرِ الصَّادِقِ : أَنْ يَجْتَمِعَ معَ الفُقَراءِ دَائِماً ، وأَنْ لاَ يَقْبَلَ بِقَلْبِهِ أَنْ يُفارِقَهُمْ ؛ فمتَىٰ فَارَقَهُمْ بِذاتِهِ ، فقَدْ اتَّصَلَ بِهِمْ بِقَلْبِهِ ، ولاَ يَسْتَرِيحُ إِلَىٰ أَنْ يَصِلَهُمْ .

---

(1) أبو مدين شُعيب بن الحسين الأنصاري، والمعروف باسم سيدي بُومَدْيَن، أو أبو مَدْيَن التِّلِمْسَانِي، من كبار مشايخ التصوف في بلاد المغرب العربي والأندلس، وهو الرجل الثاني بعد سيدي عبد القادر الجيلاني في تسلسل أخذ الطريقة الشاذلية للشيخ أبي الحسن الشاذلي. توفي سنة: 594للهجرة، ودفن بتلمسان. وترجمته في: التشوف، لابن الزيات: 319، وفي نفح الطيب، للمقري: 143/7، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للسملالي: 165.

والغَوْث أو القُطْب: أعلى مقام ومرتبة يصل إليها الصُوفي.

والبيت من قصيدة: (ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا).

(2) يَخْتَرِع ويَصِل إلى حَقِيقة ما.

(3) بِنْتُ الشَّفَةِ: الكَلِمَةُ.

(4) أهلِ طَرِيقَتِه.

قالَ أَبُو مَدْيَنَ رَضِيَ اللهُ عنه[1]:

تَضِيقُ بِنَا الدُّنْيَا إِذَا غِبْتُمُ عَنَّا وَتَذْهَلُ بالأَشْوَاقِ أَرْوَاحُنَا مِنَّا[2]
بِعَادُكُمْ مَوْتٌ، وَقُرْبُكُمُ حَيَا إذا غِبْتُمُ عَنَّا وَلَوْ نَفَساً مُتْنَا[3]

وقالَ أَيْضاً[4]:

مَا لَذَّةُ العَيْشِ إلاَّ صُحْبَةُ الفُقَرَا هُم السَّلاَطِينُ والسَّادَاتُ والأُمَرَا
فَاصْحَبْهُمُ وتَأَدَّبْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَخَلِّ حَظَّكَ مَهْمَا خَلَّفُوكَ وَرَا

فإِنَّ صُحْبَةَ الأَحْبَابِ، تُنَوِّرُ الأَلْبَابَ[5]، ولَكِنِ لاَبُدَّ مِن الأَدَبِ فِي مَجالِسِهِمْ، فَمَنْ تَأَدَّبَ فِي مَجَالِسِ الفُقَرَاءِ، يَحْظَى[6] بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ[7]. ومَنْ لَمْ يَتَأَدَّبِ، يُحْرَمْ.

وآدَابُ الفَقِيرِ معَ الفُقَرَاءِ:

أَنْ يَتَحَقَّقَ فِي بَاطِنِهِ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنهُ، ولَوْ مَنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنْهُ وأَحْقَرُ، قَبْلَ أنْ يَدْخُلَ، فَلْيَتَحَقَّقْ أَنَّهُ سَيِّدُهُ، حَيْثُ تَابَ إِلَى اللهِ، وانْتَسَبَ إِلَيْهِ.

وأَنْ يَكُونَ عَبْداً لَهُمْ فِيمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، فيَقُومُ بخِدْمَتِهِمْ، ويَجْعَلُ ذَلِكَ فَضْلاً مِنهُم إِلَيْهِ، لاَ مِنْهُ إِلَيْهِمْ، ويَفْرَحُ حِينَ صَارَ عَبْداً لأَهْلِ اللهِ؛ والعَبْدُ لاَ يَرُدُّ الكَلاَمَ علَى سَيِّدِهِ، وَلاَ يُخَاصِمُهُ، ولاَ يُجَادِلُهُ.

---

(1) من بحر الطويل.
(2) تَضِيقُ بنَا الدُّنْيَا: تَصِيرُ ضَيِّقَةً وحَرِجَةً وضَجِرَةً ومُمِلَّةً. تَذْهَلُ: تَتَحَيَّر وتَغْفَلُ.
(3) حَيَا = حَيَاةٌ. وَلَوْ نَفساً: وَلَوْ زَفْرَةَ نَفَسٍ، أي: ولَوْ لَحْظَةً.
(4) من بحر البسيط.
(5) العُقُول.
(6) يَحْصُل.
(7) دار الدُّنْيا، ودار الآخِرَة.

ويُقَدِّمُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ فِي المَآكِلِ، والمَشَارِبِ، وَالمَفَارِشِ، والمَجَالِسِ، وجَمِيعِ الأَشْيَاءِ، لِيُحْسَبَ فِي زُمْرَةِ[1] الأَصْفِيَاءِ؛ فَبِتَعْظِيمِهِمْ ومَحَبَّتِهِمْ، يَحْصُلُ السِّرُّ الكَبِيرُ، والفَتْحُ الشَّهِيرُ.

ويَخْفِضُ صَوْتَهُ، ويَغُضُّ[2] عَيْنَهُ عَن جَمِيعِ مَا وَقَعَ فِيهِمْ مِنَ العَثَرَاتِ والزَّلَّاتِ، حَتَّى إِذَا انْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ اللهِ، فلاَ تَأْخُذْهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ[3].

وَلْيَعْتَرِفْ ظَاهِراً وبَاطِناً أَنَّ اللهَ مَنَّ عليهِ[4]، وَأَحَبَّهُ، وأَرَادَهُ لِلخَيْرِ، حَيْثُ جَعَلَهُ مِنْ حِزْبِ اللهِ، وأَخْرَجَهُ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، بِفَضْلِهِ؛ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوتِيهِ مَن يَّشَآءُ﴾[5].

ومَهْمَا وَقَعَتْ مِنْهُ عَثْرَةٌ[6]؛ رَجَعَ، وتَابَ، وأَقَرَّ بِذَنْبِهِ، وَلْيَعْتَذِرْ إِلَيْهِمْ، وَلْيَتَذَلَّلْ لَهُمْ[7].

ومَتَى نَهَوْهُ عَنْ أَمْرٍ، أَوْ أَمَرُوهُ؛ فَلاَ يَتَوَقَّفْ فِي الاجْتِنَابِ[8] والامْتِثَالِ[9]؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُمْ هُم الأُمَّةُ الذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ؛ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمُۥٓ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى اَ۬لْخَيْرِ وَيَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ اِ۬لْمُنكَرِ﴾[10]، وقالَ أَيْضاً: ﴿وَالْمُومِنُونَ وَالْمُومِنَٰتُ بَعْضُهُمُۥٓ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

---

(1) فِي جَماعَةِ.
(2) يَخْفِض.
(3) تَوْبِيخُ المُوَبِّخِينَ.
(4) مَنَّ اللهُ عليه: أي وَهَبَهُ نعمَةً عظيمة.
(5) سورة المائدة، الآية: 56، وسورة الحديد، الآية: 20، وسورة الجمعة، الآية: 4.
(6) خَطَأٌ وزَلَّةٌ.
(7) وَلْيَخْضَعْ ولْيَتَوَاضَعْ لَهُم.
(8) التَّرْك والابْتِعَاد.
(9) الخُضُوعُ والانْقِيَادُ.
(10) سورة آل عمران، الآية: 104.

﴿ٱلۡمُنكَرِ﴾، الآيَةَ[1]؛ ولاَ يَقُولُ مِثْلَ مَقَالَةِ الجُهَّالِ، إذَا نَهَيْتَهُمُ، يَقُولُونَ: «عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ»؛ فإِنَّهُمْ لَمْ يَفهَمُوا مَا مَعْنَىَ قَوْلِهِ تعالَى: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾[2]، فَقَدْ قالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ[3] – رَحِمَهُ اللهُ – فِي قَولِهِ تعَالَى: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ مِمَّا يَغْتَرُّ بِهِ أَكْثَرُ الجَاهِلِينَ، ويَحْمِلُونَهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا؛ بَل الصَّوَابُ فِي مَعْنَاهَا[4]: إِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ مَا أُمِرتُمْ بِهِ، لا تَضُرُّكُم ضَلاَلَةُ مَن ضَلَّ؛ وَمِنْ جُمْلَةِ مَا أُمِرُوا بِهِ: الأَمْرُ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، والآيَةُ مُرَتَّبَةُ فِي المَعْنَى علَى قَولِهِ تَعالَى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾[5].

ولاَ يَلْتَفِتْ فِي المَجْلِسِ بَيْنَ يَدَيْ إِخْوَانِهِ، وأَحْرَى بَيْنَ يَدَيْ شَيْخِهِ[6]، ويُحُطُّ رَأْسَهُ إِلَى الأَرْضِ، ويُلاَقِيهِمْ بِالبَشَاشَةِ، والبِشْرِ، وحُسْنِ الخُلُقِ، والأَدَبِ، ويُوسِعُ فِي المَجْلِسِ لِمَنْ أَتَى مِنَ أَحْبَابهِ.

ولاَ يَلْعَبْ فِي المَجْلِسِ بِاللِّحْيَةِ، ولاَ الخَاتَمِ، ولاَ تَخْلِيلِ الأَسْنَانِ، ولاَ إِدْخَالِ الأُصْبُعِ فِي الأَنْفِ. ولاَ يُكْثِرُ البُصَاقَ[7] والتَّثَاؤُبَ[8] فِي وُجُوهِ النَّاسِ. ولَيَكُنُ سَاكِناً، ويَتَكَلَّمْ كَلاَماً مُرَتَّباً، وَلْيُصْغِ[9] إِلَى كَلاَمِ غَيْرِهِ، إِنْ كَانَ مُذَاكَرَةً للهِ، وَلْيَسْكُتْ عَن

(1) سورة التوبة، الآية: 72.

(2) سورة المائدة، الآية: 107.

(3) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شَرَف النَّوَوي الشافعي، كبير الفقهاء في زمانه، كان على جانب من الزهادة والعبادة والورع والتحري. له مصنفات كثيرة، منها: شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، وإليه تنسب الأربعين النووية. توفي سنة: 675 للهجرة. ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى، للسُّبْكي: 395/8، طبقات الشافعيين، لابن كثير: 909.

(4) راجع شرحه على صحيح مسلم: 22/2.

(5) سورة المائدة، الآية: 101.

(6) المعنى: وأشَدُّ من ذلك أنْ يَلْتَفِتَ بين يَدَيْ شَيخِهِ.

(7) لَفْظُ وإخرَاجُ الرِّيقِ التُّفَال (ماء الفم) والمُخَاط.

(8) فَتْحُ الفَمِ وإِغْلاَقُهُ، وهو من علامات النُّعاس والتَّعَب والعَيَاء.

(9) وَلْيَستَمِعْ مع حُضُور عَقْلِهِ.

المَضَاحِكِ فِي المَجْلِسِ، ولاَ يَتَهَازَلْ[1]، ولاَ يَنْظُرْ إِلَىٰ وَرَائِهِ، ولاَ يَأْتِ بِكَلاَمٍ دُنْيَوِيٍّ فِي مَجْلِسِ أَهْلِ اللهِ.

ولاَ يُوصِلْ خَبَرَ العَامَّةِ لِلفُقَرَاءِ، ولاَ خَبَرَ الفُقَرَاءِ لِلعَامَّةِ؛ فإِنَّ ذَلِكَ يَضُرُّ الفُقَرَاءَ والعَامَّةَ مَعاً، وقَدْ سَعَىٰ فِي إِفْسَادِهِمَا مَعاً؛ قالَ تَعالَى: ﴿وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي اِ۬لاَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2]، حَتَّىٰ أَوْلاَدُهُ، فَلاَ يُخْبِرْهُمْ بِخَبَرِ الفُقَرَاءِ؛ فَإِنَّ المَجَالِسَ بالأَمَانَةِ.

ولاَ يَتَخَلَّفْ عَن جَمَاعَةِ الفُقَرَاءِ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ، وأَوْقَاتِ الأَذْكَارِ والمُذَاكَرَةِ، فَإِنَّ رِبْحَهُ فِي الاجْتِمَاعِ مَعَهُمْ دَائِماً؛ قالَ أَبُو مَدْيَنَ:

واسْتَغْنِمِ الوَقْتَ، واحْضُرْ دَائِماً مَعَهُمْ … واعْلَمْ بِأَنَّ الرِّضَا يَخُصُّ مَنْ حَضَرَا
وإِنْ بَدَا مِنْكَ ذَنْبٌ فاعْتَرِفْ، وَأَقِمْ … وَجْهَ اعْتِذَارِكَ عَمَّا فِيكَ، مِنْكَ جَرَىٰ[3]
وَقُلْ: عُبَيْدُكُمُ أَوْلَىٰ بِصَفْحِكُمُ … فَسَامِحُوا وَجُودُوا بالعَفْوِ يَا فُقَرَا
وَلاَ تَرَ العَيْبَ إِلاَّ فِيكَ، مُعْتَقِداً … بِأَنَّهُ بَيِّنٌ، لَوْ لَمْ يَكُنْ ظَهَرَا

قالَ شَيْخُ مَشايخِنَا مَوْلاَيَ العَرَبِيُّ الدَّرْقَاوِيُّ[4] فِي رَسَائِلِهِ: «مَنْ لَمْ يَحْضُرْ مَعَ الفُقَرَاءِ وَقْتَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَالأَذْكَارِ، فَلاَبُدَّ أَنْ يَسْقُطَ مِن عَيْنِهِمْ، ومَنْ سَقَطَ مِنْ عَيْنِهِمْ، سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللهِ».

وَلْيَحْذَرِ الفَقِيرُ – كُلَّ الحَذَرِ – أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْ مَجَالِسِ الفُقَرَاءِ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْضُرْ مَعَ الخَاصَّةِ، يَحْضُرْ معَ العَامَّةِ؛ والفَقِيرُ لا يَقْبَلُ قَلْبُهُ مُجالَسَةَ العَوَامِّ، لأَنَّهُمْ

---

(1) ولا يُمَازِحْ.

(2) سورة البقرة، الآية: 59، وسورة الأعراف، الآية: 73، وسورة هود، الآية: 84، وسورة الشعراء، الآية: 183، وسورة العنكبوت، الآية: 36.

(3) وإِنْ بَدَا: وإِنَ ظَهَر.

(4) الشيخ أبو حامد وقيل أبو عبد الله العربي بن أحمد بن الحسن الدرقاوي الزروالي الشريف الحسني المغربي، (وسُمي بالدرقاوي نسبة لجده الملقب بأبي دَرْقَة، دفين تامسنة بالشاوية). وهو من المشايخ الكبار في التصوف، وتلميذ الشيخ أبي الحسن علي الجمل الفاسي. توفي سنة: 1239هجرية.

سُمُومٌ ، حَتَّىٰ قالَ سَيِّدِي عَليٌّ الجَمَلُ[1] – شَيْخُ مَوْلاَيَ العَرَبيّ –: «نَظْرَةُ العَوَامِّ تَضُرُّ الفَقِيرَ الصَّادِقَ» ؛ صَدَقَ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، فإنَّ الضَّعِيفَ مِنَ الفُقرَاءِ يَغْلِبُهُ الكَامِلُ فِي العَوَامِّ ، ويَسْرِقُهُ إِلَىٰ مَرْتَبَتِهِ شَيئاً فَشيْئاً ، فَلاَ يَشْعُرُ بِنَفْسِهِ إلاَّ وَقَدْ رَجَعَ قَهْقَرَىٰ[2].

كمَا أنَّ الكَامِلَ مِنَ الأَوْلِيَّاءِ يَنْظُرُونَ نَظْرَةً لِوَاحِدٍ ، فيَحْصُلُ لَهُ السِّرُّ الكَبِيرُ ، والرُّجُوعُ الكَثِيرُ ؛ كذَلِك الكَامِلُ فِي العَامَّةِ ، الذِي سَلَبَتْهُ الدُّنْيَا ، يَنْظُرُ لِوَاحِدٍ مِن الخَاصَّةِ ، فيَحْصُلُ لهُ الشَّرُّ الكَبِيرُ ؛ وكُلُّ قَلْبٍ كَبِيرٍ ، يَغْلِبُ كُلَّ قَلْبٍ صَغِيرٍ ، والقَوِيُّ يَغْلِبُ الضَّعِيفَ حِسّاً وَمَعْنىً .

وَمَتَىٰ دَاوَمَ عَلَىٰ مُجالَسَةِ الأَحْبَاب ، وَقْتاً بَعْدَ وَقْتٍ ، وعَلَىٰ ذِكْرٍ ، ومُذَاكَرَةٍ ، وفِكْرَةٍ ؛ فَلاَبُدَّ أَنْ تَبْرُزَ[3] الحِكْمَةَ عَلَىٰ قَلْبِهِ ، وعلَىٰ لِسَانِهِ ، وتَأْتِيَهُ العُلُومُ اللَّدُنِّيَّةُ[4]، التِي لاَ تُسَطَّرُ فِي الكُتُبِ ، إِلَىٰ أَنْ يَفْتَحَ اللهُ لهُ البابَ ، ويَرْفَعَ لَهُ الحِجَابَ ، ويُجْلِسَهُ فِي مَجالِسِ الأَحْبَابِ ، فيَرَىٰ بعَيْنِ البَصِيرةِ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا فَيَتَجَنَّبَهَا ، وحَقِيقَةَ الآخِرَةِ فَيُحِبَّهَا ، فإِنْ زَادَ فِي الُمجاهَدَةِ ، زادَهُ اللهُ الُمشَاهَدَةَ ، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[5].

ومَتَىٰ كانَ فِي الذِّكْرِ ، قَلْبُهُ مُنْطَوٍ فِي الَمذْكُورِ ؛ والَمقْصُودُ: أَنْ يَسْتَغْرِقَ قَلْبُهُ فِي عَظَمَةِ اللهِ وهَيْبَتِهِ ، ولكنْ لاَ يَحْصُلُ ذلكَ إلاَّ بالاِسْتِمَاعِ والاِتِّبَاعِ ؛ لأَنَّ الاجْتِماعَ بلاَ اسْتِمَاعٍ ، لاَ فَائِدَةَ فِيهِ . فَإِذَا اجْتَمَعَ مَع إِخْوَانِهِ ؛ فَإِنَّهُ يَسْتَمِعُ مِنهُم ، فإذَا اسْتَمَعَ مِنهُمْ ،

(1) الشيخ العارف بالله أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن الشريف الحسني الإدريسي العمراني، الُملَقب بالجمل، فقيه كبير، ومتصوف مشهور، جمع بين الحقيقة والشريعة. توفي بفاس سنة: 1193 للهجرة، وقيل: 1194.

(2) الرجوع إلى الوَرَاء.

(3) تَظْهَرَ.

(4) العِلْمُ اللَّدُنِّيّ: عِلمٌ ربّانيّ يَصِل لِصاحِبه عن طريقِ الإِلْهامِ الإلهي من شدة الاتصال به.

(5) سورة إبراهيم، الآية: 2، وسورة فاطر، الآية: 17.

فإنَّهُ يَتَّبعُهُمْ ، فإذَا اتَّبَعَهُمْ ، فإنهُ يَنتَفِعُ بِهِمْ ؛ ومَنْ لَمْ يَجْتَمِعْ ، لَمْ يَسْتَمِعْ . ومَنْ لَمْ يَسْتَمِعْ ، لَمْ يَتَّبِعْ . ومَنْ لَمْ يَتَّبِعْ ، لَمْ يَنْتَفِعْ .

ويَسْتَحْضِرْ في قَلْبِهِ شَيْخَهُ ؛ إذَا غَابَ ، وإنْ حَضَرَ ، فلاَ يَعْرِفْ فِي المَجْلِسِ سِوَاهُ ؛ كَمَا قالَ الشَّرِيشِيّ[1]:

وَلاَ تَعْرِفَنْ فِي حَضْرَةِ الشَّيْخِ غَيْرَهُ   وَلاَ تَمْلأَنْ عَيْناً مِنَ النَّظَرِ الشَّزْرِ[2]
وَلاَ تَنْطِقَنْ يَوْماً لَدَيْهِ ، فَإِنْ دَعَا   إِلَيْهِ ، فَلاَ تَعْدِلْ عَنِ الكَلِمِ النَّزْرِ[3]

وتَأَدَّبْ مَعَهُ فِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ ؛ لِتَكُونَ مِن الأَصْفِيَاءِ ، فإِنَّ الأَدَبَ معَ الشَّيْخِ ، أَكبَرُ مِنَ الأَدَبَ معَ الإِخْوَانِ ؛ قال الشَّرِيشِيّ :

ولاَ تَرْفَعُوا صَوْتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِهِ   ولاَ تَجْهَرُوا جَهْرَ الذِي هُوَ فِي قَفْرِ[4]
وَلاَ تَرْفَعَنْ بِالضَّحْكِ صَوْتَكَ عِنْدَهُ   فَلاَ قُبْحَ إِلاَّ دُونَ ذَلِكْ ، فَاسْتَقْرِ[5]
وَلاَ تَقْعُدَنْ قُدَّامَهُ مُتَرَبِّعاً ، وَلاَ   بَادِيّاً رِجْلاً ، فَبَادِرْ إِلَى السِّتْرِ

وسَلِّمْ لهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ ، ولاَ تَخْتَرْ لِنَفْسِكَ غَيرَ ما اختَارَ لكَ ، فَهُوَ إِمَامُكَ ، وَاسْلُبْ الإِرَادَةَ لَهُ[6]؛ قالَ أَيْضاً:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ سَلْبُ الإِرَادَةِ وَصْفَهُ   فَلاَ يَطْمَعَنْ فِي شَمِّ رَائِحَةِ الفَقْرِ

(1) أبو العباس تاج الدين أحمد بن محمد بن أحمد القرشي الشريشي السلوي المغربي، متصوف مالكي، برع في علم الكلام وأصول الفقه، اشتهر بقصيدة له في التصوف رائية سماها: "أنوار السرائر وسرائر الأنوار". توفي بمصر سنة 641 للهجرة، ودفن بها.
والبيتان من القصيدة.
(2) الشَّزْر: النَّظَرَ بمُؤْخِرِعَيْنِه.
(3) النَّزْر: القَليل.
(4) الأرض الخَالِيّة.
(5) اسْتَقْرِئْ: تَتَبَّعْ وانظُر واقْرَأْ النصوص الواردة في ذلك.
(6) أي: اجعَلْ إرادتَك بيَدِه وباختِيارِه.

قَالَ مَولاَيَ عَبْدُ القَادِرِ الجِيلاَنِي ؓ[1]:

وَإِنْ سَاعَدَ المَقْدُورُ، أوْ سَاقَكَ القضَا إِلَى شَيْخٍ حَقٍّ، فِي الحَقِيقَةِ بَارِعُ[2]
قُمْ فِي رِضَاهُ، واتَّبِعْ لِمُرَادِهِ وَدَعْ كُلَّ مَا مِنْ قَبْلُ كُنْتَ تُصَانِعُ
وَلاَ تَعْتَرِضْ فِيمَا جَهِلْتَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَيهِ، فَإِنَّ الاعْتِرَاضَ تَنَازُعُ

وقالَ مَوْلاَيَ عَبْدُ السَّلاَمِ بنِ مَشِيشٍ[3] لِمَوْلاَيَ أَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِي ؓ[4]، حينَ أَرادَ أَنْ يَأْخُذَ عَنهُ: «اغْتَسِلْ»، فَاغتَسَلَ؛ فقالَ: «اغْتَسِلْ»، حَتَّى عَمِلَهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فقالَ لهُ: «اغْتَسِلْ»؛ فَفَهِمَ أَبُو الحَسَنِ أنَّ المُرَادَ: الغُسْلُ البَاطِنِيُّ؛ فقالَ لِشَيْخِهِ مَوْلاَيَ عَبْدِ السَّلاَمِ: «اغْتَسَلْتُ مِنْ عِلْمِي، ومَنْ عَمَلِي، إلاَّ مَا يَردُ عَلَيَّ مِنْ يَدِكُمْ»، فقالَ لهُ الشَّيْخُ: «الآنَ اغْتَسَلْتَ»؛ فَصَارَ مَا فَعَلَهُ أَبُو الحَسَنِ طَرِيقَةً لِكُلِّ مَنْ أَرادَ أَنْ يَأْخُذَ طَرِيقَةَ الصُّوفِيَةِ.

فَمَتَى لَمْ يَفْعَلْ مِثْلَ ذَلكَ، ولَوْ جَلَسَ مِائَةَ عامٍ؛ لاَ يَحْصُلُ لهُ السِّرُّ الكَبِيرُ مِنَ الأَشْيَاخِ؛ لأنَّ المَقْصُودَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ: الوِرَاثَةُ النَّبوِيَّةُ.

ولَيْسَ المَقْصُودُ أَنْ يَقُولَ وَاحِدٌ: «هَا أَنَا انْتَسَبْتُ»، ويَبْقَى عَلَى حَالِ العُمُومِيَّةِ. بَل المَقصُودُ أَنْ يَكُونَ مِن الخَوَاصِّ الأَصْفِيَاءِ، الأَتْقِيَاءِ الأَوْلِيَاءِ؛ قَالَ سَيِّدِي مَوْلاَيَ العَرَبيّ: «الأَشْيَاخُ يَتَكَفَّلُونَ لأَصْحَابِهِمْ أَنْ يَقِفُوا لَهُمْ عِنْدَ المَمَاتِ، وَالسُّؤَالِ،

(1) تاج العارفين أبو محمد عبد القادر بن موسى، يعرف بالشيخ بُوعلام الجيلاني، يُلَقَّبُ بسلطان الأولياء؛ وهو إمام صوفي وفقيه حنبلي، إليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية. توفي ببغداد سنة 561هـ.

(2) المَقْدُورُ = أي: ما قُدِّرَ لَك، يعني: القَدَرَ.

(3) مولاي عبد السلام بن مَشيش العلمي من ذرية مولاي إدريس الأكبر، وُلد طنجة، وانتقل للعيش بجبل العلم قرب العرائش، وهناك ضريحه، صاحب العلوم اللدنيَّة والمعارف الرّبانية، الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة، وهو شيخ أبي الحسن الشاذلي. توفي سنة 626 هـ.

(4) أبو الحسن علي بن عبد الله الحسني الإدريسي الشاذلي، الضرير، المغربي الأصل، نزيل الإسكندرية، شرخ الطريقة الشاذلية، سافر إلى العراق ثم عاد إلى بلده، والتقى بعبد السلام بن مشيش وأخذ عنه، ومن تلامذته: أبو العباس المُرْسِي، توفي سنة: 656هـ.

والحِسَاب ، والمِيزَانِ ، والصِّرَاطِ ، وأنَا تَكَفَّلْتُ مَنْ اتَّبَعَنِي ، وفَعَلَ مَا أَمَرْتُهُ بِهِ ، أَنْ يَكُونَ وَلِيّاً مِن أَوْلِيَائِهِ ، ويَقِفَ لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، ويَشْفَعَ ، ويَرْفِدَ الغَنِيمَةَ ، ولاَ يَحْتَاجُ يَكُونَ غَنِيمَةً لِغَيْرِهِ» .

وكذلِكَ نَحْنُ ؛ قُلْنَا : مَنْ أَتَى البَابَ ، تَكَلَّفْنَا لَهُ بِرَفْعِ الحِجَابِ ، وأَنْ يَجْلِسَ مَجْلِسَ الأَحْبَابِ ، فِي حَضْرَةِ قُدْسِ رَبِّ الأَرْبَابِ ؛ وذَلِكَ بِإِذْنِ اللهِ ورَسُولِهِ والشَّيْخِ ، والبَابُ هُوَ : النِّيَةُ والصِّدْقُ .

فَالنِّيَةُ : أَنْ يَنْوِي وَجْهَ اللهِ بعُبُودِيَّتِهِ .

والصِّدْقُ : أَنْ يَفْعَلَ جَمِيعَ مَا قِيلَ لَهُ أَنَّهُ يُوصِلُهُ إِلى رَبِّهِ ، بلاَ تَأَنٍّ[1]، ولاَ تَراخٍ ، ولاَ مُهْلَةٍ ، ولاَ تَرَدُّدٍ ؛ فَكُلُّ مَا عَلِمَهُ أَنَّهُ يُقَرِّبُهُ إِلَى رَبِّهِ ، يَسِيرُ إِلَيْهِ ، وَلَوْ حَتْفَ أَنْفِهِ[2].

وأَمَّا الذِي تَقُولُ لَهُ ، ولاَ يَفْعَلُ ، أَوْ يَفْعَلُ البَعْضَ ؛ مَا زَالَ مَا كَمُلَ صِدْقُهُ ؛ ولاَبُدَّ مِنْ تَمامِ الصِّدْقِ .

والصِّدْقُ التَّامُّ : هُو الإِتْيَانُ بِجَمِيعِ الشُّرُوطِ .

والشُّرُوطُ : مَا أَمَرَ بِهِ الشَّيْخُ ؛ قالَ تعَالَى : ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾[3].

والصِّدْقُ رَأسُهُ : التَّصدِيقُ لِشَيْخِكَ ، وتَعْلَمَ أَنَّهُ وَلِيٌّ مِن أَوْلِيَاءِ اللهِ ، حَتَّى لاَ يَخطُرَ فِي قَلْبِكَ أَفْضَلَ مِنهُ عِندَكَ ، ولَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ أَوْلِيَاءِ الدُّنْيَا ، فلاَ تُبَالِ بِهِمْ ، ولاَ يَمْشِ قَلْبُكَ إِلَيْهِم ، بَلْ تَقُولُ : «الحَمْدُ للهِ ، أَنَا لَقِيتُ ، وعَرَفْتُ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ عِندِي مِنَ الجَمِيعِ» ، وتَقُولُ : «أَنَا سَلَّمْتُ لِجَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ ، ولَكِنْ هَذا الذِي التَقَيْتُ مَعَهُ أفضَلُ ، لأَنَّ سِرِّي مِنْهُ ، لاَ غَيْرَ» .

---

(1) بدون تَهَاوُنٍ.
(2) مُرْغِماً نَفسَهُ، بدُون رِضَى نَفسِه.
(3) سورة محمد، الآية: 22.

وذَلِكَ بمثَابَةِ إِنْسَانٍ الْتَقَىٰ مَع أَبِيهِ ، لاَ يَعْرِفُ أَحدٌ أَنَّهُ وَالدُهُ سِواهُ ، ولاَ يَرَىٰ فَضْلَ الوَالِدِيَّةِ لِغَيْرِهِ ، بَلْ إِنْ رَاهُ لِغَيْرِ ، فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ ؛ إِنَّ أَبَاهُ هُوَّ الذِي وَلَدَهُ ، وَلاَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَنْتَسِبَ لِغيرِه مِن جَمِيعِ الأَحْيَاءِ ؛ لأَنَّ الوِلادَةَ لاَ تَقَعُ إِلاَّ مِن حَيٍّ ، سَواءٌ الحِسِّيَّةَ والمَعْنَوِيَّةَ ، ولَيْسَ العِلْمُ يُقْرَأُ إِلاَّ علىٰ حَيٍّ ؛ وكَذَا جَمِيعُ الأَشْيَاءِ ، لاَ تُؤْخَذُ إِلاَّ مِن الأَحْيَاءِ .

والسِّرُّ الذِي جَعَلَهُ اللهُ فِي الآدَمِيِّينَ لَمْ يَزَلْ - حِسّاً ومَعْنىً - ورَاثَةً ، فأَهْلُ الظَّاهِرِ لِلظَّاهِرِ ، وأَهْلُ البَاطِنِ لِلبَاطِنِ ، ومِنهُمْ مَن جَمَعَ بَينَهُمَا ، وَلاَ يَنْقَطِعُ إِلىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ؛ قالَ النبيُّ ﷺ: «لَمْ تَزَلْ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ، ظَاهِرِينَ علَىٰ الحَقِّ ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ»[1]، وقالَ تعالَىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[2].

ولاَ يَسْمَعْ عَمَّنْ يَسُدُّ بابَ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ ، ويُنْكِرُ السِّرَّ في هَذَا الزَّمَانِ، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، والكَافِرُ في اللُّغَةِ: هو الذِي يُغَطِّي الشَيءَ . وقَالَ تعالَىٰ : ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[3].

---

(1) الحديث متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، من حديث المغيرة بن شعبة؛ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» يقاتلون، وهم أهل العلم: (رقم الحديث: 7311): 101/9؛ والإمام مسلم في صحيحه، من حديث ثوبان؛ كتاب الإمارة: باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»: (رقم الحديث: 1920): 1523/3.

(2) سورة البقرة، الآية: 105.

(نَنْسَخْ) يُزِل من آية أو حُكم شرعي ونُبَدِّلْه بآية أو حُكم آخرَ.

(3) سورة التوبة، الآية: 32.

والعاقِلُ مَتَىٰ وَجَدَ حَاجَتَهُ ، يَلزَمُهَا ، ولاَ يَحْتَاجُ أَنْ يُعَيِّطَ[1] علىٰ النَّاسِ بِهَا ؛ فإِنَّ أوْلِيَاءَ اللهِ مِثلُ العَرائِسِ ، والعَرَائِسُ لاَ يَرَاهَا المُجْرِمُونَ .

وَلاَ يَلِيقُ لِمَنْ وَجَدَ وَلِيّاً مِن أَولِيَاءِ اللهِ أَنْ يَذْكُرَهُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهُ ، بِمَا عَلِمَ فِيه مِن السِّرِّ ؛ لأَنَّ النَّاسَ : مِنهُمْ مَنْ يَقْبَلُهُ ، ومِنْهُمْ يَرُدُّهُ .

ومِنْ آدَابَ الفَقِيرِ :

أَنْ لاَ يَذْكُرَ شَيخَهُ بكرَامَاتِهِ وأَسْرَارِهِ ، إلاَّ لِمَنْ عَرَفَ أَنَّهُ أَحَبَّهُ ، وَحَسَّنَ الظَّنَّ فيهِ ، فيَزِيدَ مِنهُ خَيْراً علىٰ خَيْرٍ . وأمَّا غَيرُهُ : فَلاَ يُخْبِرْهُ . فإِنْ قَدَرَ أَنْ يُفَارِقَ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي شَيخِهِ بسُوءٍ ، فَلْيَفْعَلْ . فإِنْ لَمْ يَقْدِرْ ، فَلْيَسْكُتْ عَنْهُ ، ولاَ يُجادِلْهُ ، ولاَ يُخَاصِمْهُ مِثْلَ العَوَامِّ ، بَلْ يَذْكُرُ اللهَ ، وَيَتْرُكُهُ ، ويَعْتَقِدَ فِي قَلبِهِ الخَيْرَ ، ولاَ يَطْمَعْ أَنْ يُعَرِّفَ الناسَ جَميعاً مَا عَرَفَهُ فِيه مِن الخَيْرِ ؛ فَإِنَّ الأَعْمَىٰ لاَ يَرَىٰ الشَّمْسَ .

ومِنْ جُمْلَةِ مَا تَفْهَمُ بِهِ أَنَّ الناسَ مِنهُمْ من يَعْتَرِضُ علَىٰ اللهِ ، ويَقُولُ : هَذَا حَسَنٌ ، وهَذَا قَبيحٌ ، ولاَ يَدْرِي – مِسْكِينٌ – أنَّ اللهَ تعالَىٰ فِعْلُهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ ؛ فَلَمَّا وَجَدْتَهُمْ لَمْ يُسَلِّمُوا للهِ تعالَىٰ فِي مَمْلَكَتِهِ ، فلاَ تَطْمَعْ أَنْ يُسَلِّمُوا لأَوْلِيَائِهِ ، ولاَ لِغَيْرِهِم ؛ ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[2] .

وَوَاظِبْ ولاَزِم الأَدَبَ مَعَهُ في الحَضَرِ والسَّفَرِ ، والحُضُورِ والغَيْبَةِ ؛ فَمِنْ عَلامَةِ رِبْحِ الفَقِيرِ الصَّادِقِ : أَنْ يُحِبَّ شَيْخَهُ ، مَحَبَّةً لَمْ يُحِبَّ بِها أَحداً مِن خَلْقِ اللهِ ، إلاَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، لأَنَّهُ وَارِثُهُ ووَسِيلَتُهُ إِلَىٰ اللهِ ، ﴿وَابْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[3]؛ أيْ : إِلَىٰ اللهِ تعالَىٰ .

(1) عَيَّطَ: صَاحَ ونَادَى.

(2) سورة هود، الآية: 118.

(3) سورة المائدة، الآية: 37.

وَلاَبُدَّ لِمَنْ أَرادَ اللّهَ تعالَىٰ: أَنْ يَبْغِيَ إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ؛ وهُوَ الشَّيْخُ الذِي يُخَلِّصُكَ مِنْ رُعُونَاتِ[1] نَفْسِكَ، ويُغَيِّبُكَ عَنْ عَالَمِ حِسِّكَ، فِي بَحْرِ المَعَانِي الرَّبَّانِيَّةِ، والأَسْرَارِ الرُّوحَانِيَّةِ وَيَسِيرُ بِكَ إِلَىٰ حَضْرَةِ رَبِّكَ، إِلَىٰ أَنْ تَصِلَهُ، ويَقُولَ لَكَ: «هَا أَنْتَ ورَبَّكَ»؛ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[2].

ومَن أَرادَ أَنْ يَحْصُلَ له الأَدَبُ والتَّعْظِيمُ، فِيمَا بَينَهُ وبَيْنَ شَيْخِهِ، وفِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ؛ فَلْيَلْزَمْ ذِكْرَ اللهِ - كَما قُلْنَا - أَوَّلاً، تَصِحَّ لَهُ مَحَبَّةُ اللهِ ورَسُولِهِ، ومَحَبَّةُ شَيْخِهِ، ومَحَبَّةُ جَمِيعِ الخَيْرِ وأَهْلِهِ؛ كُلٌّ وَاحِدٍ بِقَدْرِهِ؛ فَمَحَبَّةُ اللهِ أَعْظَمُ مِن كُلِّ شَيءٍ، ثُمَّ مَحَبَّةُ سَيِّدِنَا رَسِولِ اللهِ ﷺ، ثم مَحَبَّةُ شَيْخِهِ؛ وسُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ الذِي يُخْرِجُ مِن ذِكْرِهِ تِلكَ الأَسْرَارَ، وتَنْبُعُ منهُ الأَنْوَارُ.

ولَكِن، يَذْكُرُ اسْمَ اللهِ العَظِيمِ الأَعظَمِ، بِكَيْفِيَّتِهِ المَعْلُومَةِ لِمَوْلاَيَ العَرَبِيِّ رضي الله عنه؛ وهِيَ أَنْ يُشَخِّصَ حُرُوفَ الاسْمِ[3]، بِمَدِّهِ كَثِيراً، والوُقُوفِ عَلَىٰ الهَاءِ بالسُّكُونِ، ويَحْصِرَ النَّفَسَ بِقَدْرِ مَا أَمْكَنَ، سَبْعَةَ أَنْفَاسٍ[4] فَفَوْقَ. وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلىٰ حَصْرِهِ؛ فَبِقَدْرِ الطَّاقَةِ، ويَقْبِضُ فِكرَتَهُ[5] بِتَشْخِيصِ الحُرُوفِ؛ وذَلِكَ المَقْصُودُ هُو: أَنْ لاَ تَجُولَ فِكْرَتُهُ فِي غَيْرِ اللهِ. ومَتَىٰ غَفَلَ عَنِ التَّشْخِيصِ؛ يَرْجِعْ إِلَيْهِ، وَلَوْ أَلْفَ مَرَّةٍ، فإِنَّ مَنْ يَحْضُرُ قَلْبُهُ فِي ذِكْرٍ، يُرْجَىٰ لهُ أَنْ يَحْضُرَ فِي جَمِيعِ الأَذْكَارِ.

والأَفْضَلُ لِلفَقِيرِ أَنْ يَجْعَلَ وَقْتاً مِنِ الأَوْقَاتِ لِذِكْرِ الاسْمِ، مِثْلَ آخِرِ اللَّيْلِ، وَقْتِ الأَسْحَارِ، إِلَىٰ أَنْ يَطْلُعَ الفَجْرُ؛ ولَكِنْ، فَلْيَذْكُرْ بِهِمَّةٍ، ويَقِينٍ كَبِيرٍ، لِئَلاَّ يَنْعَسَ؛ فإِنَّ النُّعَاسَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ حُلْوٌ، لاَ يُخَلِّصُ مِنْهُ إِلاَّ مَنْ يَذْكُرُ بِهِمَّةٍ عَالِيَّةٍ.

(1) طَيْش.
(2) سورة النجم، الآية: 41.
(3) أن يُشَكِّلَ ويَرْسُمَ صُوَرَ الحُروف أَمَامَ عَيْنَيْه.
(4) يريد: سَبْعَ حَرَكاتٍ يَحْسُبُها بأصابِعِه.
(5) يَجمَع عَقلَه ويُحضِرُه.

وغَيْرُ هَذَا الوَقْتِ: يُدِيمُهُ[1] فِيهِ علَىٰ كُلِّ حَالٍ مِن الأَحْوَالِ؛ «لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً بذِكْرِ اللهِ»[2]، فَإِنَّ ذِكْرَ اللهِ حِصْنٌ مَنِيعٌ[3]، مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً، فالعَاقِلُ لاَ يَغْفُلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، ولَوْ طَرْفَةَ عَيْنٍ[4].

والفَقِيرُ فِي ابْتِدَائِهِ يَنْفَعُهُ ذِكْرُ الجَهْرَ أَكْثَرَ مِن ذِكْرِ السِّرِّ، وذِكْرُ الاجْتِمَاعِ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ العُزْلَةِ، وذِكْرُ الاسْمِ المُفْرَدِ أَكْثَرَ مِن ذِكْرِ غَيرِهِ مِن الأَذْكَارِ.

والفَقِيرُ لاَ يُفَرِّطُ فِي الفَرَائِضِ وَالمَسْنُونَاتِ والرَّغَائِبِ، وجَمِيعِ الخَيْرَاتِ، ويَتَخَلَّقُ[5] بِأَخْلاَقِ السَّادَاتِ الكِرَامِ، ويُظْهِرُ نِسْبَةَ اللهِ علَىٰ ظَاهِرِهِ، ولاَ يُخْفِيهَا؛ مِنَ السُّبْحَةِ، والعُكَّازِ، والهَيْلَلَةِ، وجَمِيعِ مَا قَدَرَ عليه، مِمَّا تَصِحُّ به نِسْبَتُهُ إِلَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّ مَن ادَّعَىٰ النِّسبَةَ بَاطِناً، وَلَمْ يُظْهِرْهَا علَىٰ ظَاهِرِهِ، بمَثابَةِ مَن ادَّعَىٰ شَيْئاً بلاَ شُهُودٍ. فَكُلُّ مَا لَمْ يَرَهُ النَّاسُ، لاَ يَشْهَدُونَ بهِ. ومَا لَمْ يَشْهَدُواْ بهِ، لَمْ يَتَحَقَّقْ لَكَ، «وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ»[6]، فَمَنْ انْتَسَبَ، وَيَجْتَمِعُ مَعَ الفُقَرَاءِ، ويُظْهِرُ النِّسْبَةَ بذِكْرِ الهَيْلَلَةِ جَهْراً، وَحَمْلِ السُّبْحَةِ الكَبِيرَةِ؛ يَشْهَدُونَ أَنَّهُ مِنْهُمْ. ومَنْ لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَهُمْ، وَلَمْ يَتَخَلَّقْ بأَخْلاَقِهِمْ، بَلْ بَقِيَ عَلَىٰ حَالِ العَامِّيَّةِ؛ لاَ يَشْهَدُونَ لَهُ بأَنَّهُ مِنْهُمْ؛ لأَنَّ لِسَانَ الحَالِ[7] عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ يَقُولُ: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾[8]، وأَيُّ جَهْلٍ، وأَيُّ ضَلاَلٍ، وأَيُّ بَلِيَّةٍ[9]، وأَيُّ فِتْنَةٍ، وأَيُّ حُمْقٍ، (خَصَّ) شَخْصاً لَمْ يُرِدْ أَنْ يُظْهِرَ

(1) أي: يُكثِرُ الذِّكْرَ من غير انقطاع.

(2) هو حديث عن النبي ﷺ؛ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، من طريق عبد الله بن بِشْر: كتاب الجنائز، باب طُوبَى لمن طال عُمرُه وحَسُنَ عمله: (رقم الحديث: 6526): 519/3.

(3) المَوضِعُ والمَكَانُ والبِنَاء الذي يَستَحِيل الوُصُولُ إِلَيْهِ.

(4) غَمْضَة العَيْن وانفتاحِها، وهو كناية عن الوَقْتِ القَصِيرِ جداً.

(5) يَتَطَبَّعُ: أيْ يَجْعَلْ ذلِكَ طَبْعَهُ.

(6) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث أنس بن مالك: (رقم الحديث: 13996): 409/21.

(7) ظَاهِرُ أَمْرِهِ.

(8) سورة يوسف، الآية: 81.

(9) مُصيبَةٍ ومِحْنَةٍ.

النِّسْبَةَ إِلى اللهِ تَعَالَى؟ ، الّذِي مَنْ وَجَدَهُ كَفَاهُ[1]؛ قالَ اللهُ عزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[2].

وقالَ ابْنُ عَطَاءِ اللهِ فِي "الحِكَمِ"[3]: «مَاذَا فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ؟ ، ومَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ؟» ، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[4].

ويَقُولُ الأَحْمَقُ: إنْ أَنْتَسِبْ إِلَى اللهِ ، يَخُصَّنِي كَذَا وكَذَا ، ويَحْقِرْنِي النَّاسُ ، وصِرْتُ ذَلِيلاً بَيْنَهُمْ ، أَوْ تُفَارِقْنِي الدُّنْيَا ؛ حَتَى إنَّ بَعْضَهُمْ تَجِدُهُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ طَرِيقَتِهِ ، مُثْلُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: «أَنْتَ دَرْقَاوِيٌّ» ، ويَشُقُّ عَلَيْهِ هَذَا الإِسْمِ ، فَضْلاً عَنْ إِظْهَارِ شَيْءٍ آخَرَ. كَذَا وكَذَا لَقِينَا ، يَقُولُ لَنَا: «أَنَا مُنْتَسِبٌ لَكُمْ ، وأَنْتُمْ أَشْيَاخِي» ، ويَأْخُذُ الوِرْدَ ، ويَقُولُ: «لَكِنْ ، أَنَا لَسْتُ دَرْقَاوِيّاً ، وإِنَّمَا أَنَا مُنْتَسِبٌ» ، ويَفِرُّ[5] مِن الإِسْمِ ، لِمَا عُلِمَ عِنْدَهُمْ أنَّ الدَّرْقَاوِيِّينَ يُمَثِّلُونَ نُفُوسَهُمْ بمَا يَكْرَهُونَهُ ، وإِذَا رَأَوْا الحَقَّ يَشْتَهُونَهُ. ولَكِنْ ، أَرَادُوا أَنْ يَسْرِقُوهُ[6]، ولاَ يُعْطُونَ ثَمَنَهُ. ولَوْ قُلْتَ لَهُمْ: انْتَسِبُوا لِوَاحِدٍ مِنَ الكُبَرَاءِ الدُّنْيَوِيِّينَ ، الذِينَ يَرْجُونَ نَوَالَهُمْ[7]، أَوْ لاَ يَرْجُونَ مِنهُمْ شَيْئاً ؛ لَمْ يَتَوَقَّفُوا. بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَفْتَخِرُ باتِّصَالِهِ بوَاحِدٍ مِنَ الْمُرَابِطِينَ – وهُوَ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَسْتَقِيمَ فِي حُدُودِ اللهِ يَوْماً ولاَ لَيْلَةً ، ولاَ أَنْ يُخَالِفَ نَفْسَهُ فِي (بَصَلَةٍ) إذَا اشْتَهَاهَا ، ولاَ أَنْ يَزْهَدَ فِي قِيرَاطٍ ، وأَحْرَى قِنْطَارٍ – ؛ وَيَقُولُونَ: «هَذَا هُو الذِي

(1) لَمْ يَحْتَجْ إلى غَيرِه.

(2) سورة الزُّمَر، الآية: 53.

(3) تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد ابن عطاء الله السَّكَنْدَرِي (الإِسْكَنْدَرانِي) المِصري الشاذلي، صاحب الشيخ أبي العباس المرسي، المتكلم على لسان الصوفية في زمانه. له في ذلك تصانيف عديدة، منها: الحِكَم، وتاج العروس في الوصايا والعظات، ولطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن. توفي سنة 709هـ. وهي المناجاة رقم: 28، بعد الحِكَم.

(4) سورة الطلاق، الآية: 3.

(5) يَتَهَرَّبُ.

(6) أي: يَسْرِقُوا اسمْ الطَّرِيقَةِ.

(7) عَطَاءَهُم وعَطَايَاهُم ومِنَحَهُم.

يُتَبَرَّكُ بِهِ» ، ولاَ يَدْرُونَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَصْفُ لاَ يُصَفِّي[1]، ومَنْ لَمْ يَسْلُكْ طَرِيقَ الوُصُولِ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ – بِمُخَالَفَةِ نَفْسِهِ ، وقَمْعِ[2] الهَوَىٰ والشَّيْطَانِ والدُّنْيَا ، علَىٰ يَدِ شَيْخٍ عَارِفٍ بِاللهِ تعَالَىٰ ، جَامِعٍ لِلْفَنَاءِ والبَقَاءِ[3]، والجَذْبِ والسُّلُوكِ[4]، والفَرْقِ والجَمْعِ[5]، والحَقِيقَةِ والشَّرْيعَةِ[6]، والسُّكْرِ والصَّحْوِ[7]، إِلَىٰ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ سرُّ العِرْفَانِ بالشُّهُودِ والعِيَانِ[8] – ؛ لاَ يَصْلُحُ أَنْ يُقْتَدىٰ به فِي السُّلُوكِ إِلَىٰ اللهِ ؛ لأَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الطَّرِيقَ ، ولاَ سَلَكَهُ – حَتَّىٰ يَعْرِفَ العَقَبَاتِ[9] والمَخَاوِفَ ، وَمَحَلَّ الهُبُوطِ والصُّعُودِ ، والمَقِيلِ[10] والمَبِيتِ – ؛ أَكْثَرُ مَا يَجْنِي[11] عَليهِ اجْتِهَادُهُ .

---

(1) أي: مَن لم يَكُنْ صَافِيًا في نَفْسِهِ، فَكَيْفَ يُصَفِّي غَيرَهُ؟.

(2) وقَهْرِ ومُغالَبَة.

(3) في اصطلاح الصوفية: **الفَنَاء:** سقوط الأوصاف المذمومة من النفس، حتى لا يرى في الوجود إلا واحدا هو الحق سبحانه. **والبَقَاء:** قيام الأوصاف المحمودة بها، والحضور مع الحق سبحانه.

(4) في اصطلاح الصوفية: **الجَذْبُ:** ملاحظة العناية الإلهية للعبد باجتذابه إلى حضرة القُرب، دون كَلفة ولا مشقة؛ وهو عكس **السلوك**؛ فالسالِكُ يَقطع الطريق بالمُجاهَدَة والرياضة.

(5) **الفرقُ:** شهود حِسّ الكائنات، والقيامُ بأحكامه وآدابه من العبادة والعبودية. **والجَمْعُ:** شهود المعنى القائم بالأشياء متصلا بالله.

(6) **الشَّرِيعَةُ:** علم يَخُص أهل الظاهر، وهي الشريعة الإسلامية التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بكل ما فيها من عقائد وعبادات وآداب وأخلاق وسلوك. **والحقيقة:** علم تجليات الله تعالى، وظهوره بأفعاله، وهو باب الحقيقة، وتجلياته بأسمائه وصفاته.

(7) **الصَّحْوُ:** الرجوع إلى الإحساس بعد غَيبَةِ عقله وإحساسه في الله. **والسُّكْرُ:** غَلَبَةُ الحالَ، والارتفاع عن الحِس.

(8) مُشاهدَةً وإِبْصَاراً بعينه حَقيقَة.

(9) الصِّعَابَ، والمَوَانِعَ، العَوَائِقَ.

(10) مَكانَ الرَّاحَةِ وقت القَيْلُولَة وَسطَ النهار.

(11) يَقْضِي عليه ويُهلِكُهُ.

ولاَبُدَّ للعَاقِلِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِنَفْسِهِ، هِيَ الأُوْلَى، ويَتْرُكَ سِوَاهَا، ولاَ يُبَالِي بِصَالِحٍ، ولاَ طَالِحٍ[1]، بَلْ يُقْبِلُ[2] علَى نَفْسِهِ، ويَجْعَلُ شَيْخَهُ أَمَامَهُ، ويَقْتَدِي بِهِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وأَقْوَالِهِ، إِلَى أَنْ يُصَلِّيَ صَلاَةَ العَارِفِينَ، كَمَا قِيلَ:

تَوَضَّأْ بِمَاءِ الغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سَرٍّ وَإِلاَّ تَيَمَّمْ بالصَّعِيدِ وبالصَّخْرِ
وَقَدِّمْ إِمَاماً كُنْتَ أَنْتَ أَمَامَهُ وَصَلِّ صَلاَةَ الظُّهْرِ فِي أَوَّلِ العَصْرِ
فَهَذِي صَلاَةُ العَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَانْضَحِ البَرَّ بِالبَحْرِ[3]

فَإِنَّنَا لَمَّا مَنَّ اللهُ تعالَى عَلَيْنَا بِمُلاقَاةِ شَيْخِنَا الأَسْعَدِ، وقُدْوَتِنَا الأَوْحَدِ، إِمَامِ العَارِفِينَ، وتَاجِ الوَاصِلِينَ؛ سَيِّدِي سَعِيدَ بْنَ مَحَمَّدٍ - بالفَتْحِ - السَّمْلاَلِيِّ طِيناً، المَعْدَرِيِّ وَطَناً[4] - بإِزَّاءِ مَاسَّةَ -، قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ؛ وأَخَذْنَا عَنهُ الطَّرِيقَةَ الدَّرْقَاوِيَّةَ الشَّاذِلِيَّةَ، فَنِيَتْ فِيهِ قُلُوبُنَا، فَلَمْ نَرَ مَا يَمْلأُ عَيْنَنَا فِي الدُّنْيَا، إلاَّ مَعْنَاهُ وذِكْرُهُ.

وبَعْدَمَا أَخَذْتُ عَنهُ الوِرْدَ، بثلاثَةِ أيَّامٍ أَوْ أَرْبَعةٍ، حَصَلَ لِي مَقَامُ الفَنَاءِ والجَذْبِ، وسَرَى سِرُّ اللهِ فِي ذَاتِي ورُوحِي، قَلْباً وقَالَباً. ولَمَّا وَقَعَ لِي مَا وَقَعَ، مِمَّا لَمْ أَرَهُ مِن سِرِّ اللهِ؛ دُهِشْتُ دَهْشَةً عَظِيمَةً، وقُلْتُ: «ما هذا؟» ؛ ولَكِنْ، أَدْرَكَنِي اللهُ بالشَّيْخِ، كانَ فِي قُرْبِنَا، فَوَصَلْتُهُ، فَعَرَّفَنِي الحالَ. ولَكِنْ، لَمَّا الْتَقَيْتُ مَعَهُ زَادَ عَلَّي مَا

(1) فَاسِدٍ.
(2) يَتَوَجَّهُ.
(3) فَانْضَحْ: رُشَّ، وبُلَّ.
(4) شيخ المشايخ سيدي سعيد بن هَمُّو المَعْدَري السملالي السوسي (نسبة إلى المَعْدَر بلدة قرب تزنيت جنوب المغرب) من أسرة آل هَمُّو السملالية الشريفة، شيخ الطريقة الدرقاوية في سوس، أخذ الطريقة عن الشيخ أحمد بن عبد الله المراكشي، وهو أحد مريدي شيخ مولاي العربي الدرقاوي. فبلغ مبلغا في التربية والسلوك الصوفي، تصدر لدعوة العباد إلى الله تعالى في الأصقاع السوسية، وعنه أخذ الشيخ سيدي الحاج علي الإلْغِي، والشيخ مولاي أحمد الوَادْنُوني، والشيخ سيدي الحسن التامُودِّيزْتي، وغيرهم من العلماء. توفي: 1300هـ.

بي ، حَتَّىٰ إِنِّي لاَ أُطِيقُ أَنْ أَسْمَعَ اللهَ ورَسُولَهُ ﷺ إلاَّ وذَاتِي تَتَمَزَّقُ ، فَلَمْ أَشْعُرْ بِشَيْءٍ يُلْهِينِي[1] عَن ذِكْرِ حَبِيبِي . واجْتَمَعَ عِنْدِي فِي ثَلاثَةِ أَيَّامٍ – والحَمْدُ للهِ – مَا لاَ يَجْتَمِعُ بِعِبَادَةِ أَعْوَامٍ عَدِيدَةٍ ، بِبَرَكَةِ العَارِف بِاللهِ الذِي الْتَقَيْنَا بِهِ .

وَأَمَّا قَبْلَ مَا الْتَقَيْنَا بِهِ ؛ فَإِنَّنَا نَعْمَلُ أَعْمالاً عِدِيدَةً ، ومُجاهَدَةً ، أَكْثَرَ مِمَّا عَمِلْنَا مَعَهُ ، وزِيَّارَةِ الصَّالِحِينَ ، الأَحْيَاءِ مِنْهُم والأَمْوَاتِ ، ولَكِنْ لَمْ يُشْفَ مِا بِنَا ، إلاَّ بِمُلاَقَاتِهِ ، فِي أَقَلِّ مُدَّةٍ ، وأَقَلِّ عُدَّةٍ[2]؛ لأَنَّ العَارِفِينَ بِاللهِ هُمْ الإِكْسِيرُ[3] الحَقِيقِيُّ والكِيمِيَاءُ[4]؛ مَنْ الْتَقَىٰ مَعهُمْ ، لَمْ يَحْتَجْ إِلَىٰ كَثْرَةِ عَمَلٍ وتَعَبٍ . ومَنْ لَمْ يَلْتَقِ مَعَهُمْ ، فَكَمَنْ ضَرَبَ فِي الحَدِيدِ البَارِدِ ، يَعْيَ[5]، ولاَ يَقْضِي حَاجَتَهُ . ولا يَصِلُ إِلَيْهِمْ ، إلاَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيْهِ ؛ قَالَ فِي "الحِكَم" : «سُبْحَانَ اللهِ ، مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدَّلِيلَ عَلَىٰ أَوْلِيَّائِهِ ، إلاَّ مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلُ عَليهِ»[6]؛ فإِذَا الْتَقَيْتَ بِهِم ، فَعُضَّ عَلَيْهِم بالنَّوَاجذِ[7]، واسْمَعْ واتَّبِعْ ، ولاَ تَبْتَدِعْ ، فَقَلَّمَا[8] أَنْ تَجِدَهُمْ، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[9]، فَمَا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةٌ ، ولاَ كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةٌ .

---

(1) يَشْغَلُنِي.

(2) وأقلِّ الأَعْمَال.

(3) مادَّة مركَّبة، كان الأَقْدَمون يَظُنُّونَ أَنها تحوِّل المَعْدِن الرَّخيص إلى ذَهَب.

(4) الكِيمْيَاءُ عنْد القدماء: علمُ تُعْرَف به طُرَقُ تَحويل المَعادِن إلى جَواهِرَ نَفِيسَةٍ؛ يريد بذلك: أن الشيخَ يُرَقِّي المريد، ويُحَوِّلُه من المقام الأدنى إلى المَقامَاتِ العُليا.

(5) يَتْعَبْ.

(6) هي الحِكمَة رقم: 156.

(7) النَّواجذُ: الأَضْرَاسُ، وهو كِنَاية عن: الحَرْصِ على الشَيء، أيْ: احَرِصْ عليهم.

(8) فَقَلِيلٌ.

(9) سورة ص، الآية: 23.

والغُمْرُ[1] يَظُنُّ أَنَّ هذَا السِّرَّ يَنْجَلِي[2] لِكُلِّ أَحَدٍ، ويَنْطَوِي[3] فِي كُلِّ عَدَدٍ، لاَ وَرَبِّ الكَوْنِ[4]، فَلَرُبَّمَا يَأْتِي به اللهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَظُنُّهُ فِيهِ، وهَذَا لَيْسَ بِمَوْزُونٍ، بَلْ مُتَّزِنٌ[5]؛ إِنْ جِئْتَ أَنْ تَزِنَ أَحَداً، لاَ يَسْتَقِيمُ وَزْنُكَ، ولَكِنْ يَكْثُرُ حُزْنُكَ؛ فَإِنَّ العَارِفَ لاَ يَعْرِفُهُ إِلاَّ مِثْلُهُ، وأَمَّا غَيْرُهُ – ولَوْ كَانَ مِن الصَّالِحِين – فَإِنَّهُ لاَ يَعْرِفُهُ؛ لأَنَّ العَارِفِينَ يَتَطَوَّرُونَ فِي جَمِيعِ الأَطْوَارِ[6]؛ اكْتَسَبُوا مِنْ وَصْفِ اللهِ، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[7]، ويَصْدُقُ عَلَيْهِ: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا[8]، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» –حَدِيثٌ –[9]، ومَنْ كَانَ فِعلُهُ فِعْلَ اللهِ، أَتَزِنُهُ بِمِيزَانِكَ؟؛ فَتَجِدُ العَارِفَ تَارَةً فِي حَالٍ، وتَارَةً فِي أُخْرَى، لاَ يَتَقَيَّدُ[10] بِحالٍ الأَحْوَالِ، لأَنَّهُ مع اللهِ، والصَّالِحُ: هُو الذِي لا يَتَبَدَّلُ، بَلْ يَبْقَى على مُجَاهَدَتِهِ.

والعَارِفُ شَهِدَ أَنَّ اللهَ هُوَ الفَاعِلُ فِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ، فاسْتَرَاحَ، فاسْتَوتْ عِنْدَهُ العَادَةُ والعِبَادَةُ. والصَّالِحُ يَرَى أَفْعَالَهُ، ويَقِفُ مَعَهَا؛ قال فِي "الحِكَمِ": «إِنَّمَا يَسْتَوْحِشُ[11] العُبَّادُ والزُّهَّادُ مِن كُلِّ شَيْءٍ، لِغَيْبَتِهِمْ عنِ اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ»؛ فَمَنْ

(1) الذي لم يُجرِّب الأمور.
(2) يَنْكَشِفُ.
(3) يَجْتَمِعُ.
(4) وهو قَسَمٌ، معناه: لاَ واللهِ.
(5) دَقِيقٌ ومَحْسُوبٌ.
(6) الأحْوَال والمَقَامَات.
(7) سورة الرحمن، الآية: 27.
(8) يَأْخُذُ بها.
(9) هو طرف حديث: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ)؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، من حديث: لأبي هريرة؛ كتاب الرِّقَاق، باب التواضع: (رقم الحديث: 6502): 105/8.
(10) لا يَلْزَمُ.
(11) أي: يَنْفِرُونَ، إذ لا يَجِدُون أُنْسَهُم وطِيب العيش.

رَزَقَهُ اللهُ حُسْنَ الظَّنِّ ، وأرَادَهُ اللهُ لِلْخَيْرِ ، لاَ بُدَّ أَنْ يَلْقَاهُمْ ؛ ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[1]، ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾[2].

ولْيَتَأَدَّبِ الفَقِيرُ فِي الحَرَكَاتِ والسَّكَنَاتِ، ولاَ يَعْجَلْ فِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ، ولْيَكُنْ سَخِيّاً[3] صَفِيّاً ، ومِنْ كَلامِهِمْ : أَقْبَحُ القَبِيحِ ؛ صُوفِيٌّ شَحِيحٌ[4]، وقَالُوا : اثْنَتَانِ مَذْمُومَتَانِ فِي الفَقِيرِ : الكَذِبُ والبُخْلُ.

وأَوَّلُ مَا يَسْتَفِيدُ الفَقِيرُ ؛ الصِّدْقُ ، والسَّخَاءُ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ خَلْقِ اللهِ جَمِيعاً ، ويُعامِلُ جَمِيعَ الخَلْقِ بِحُسْنِ الخُلُقِ ، قَوْلاً وفِعْلاً ، ولاَ يَحْسُدُ أَحداً ، ولاَ يُبْغِضُ أَحداً ، ولاَ يُهِينُ[5] أَحداً ، ولاَ يَضْرِبُ أَحَداً ، وَلا يَسْرِقُ ، ولا يَزْنِي ، ولا يَغْتَابُ ، ولاَ يأتِي بالنَّمِيمَةِ ، ولاَ يَشْهَدُ الزُّورَ،[6] ولاَ يَتَطَفَّلُ[7] فِي الأُمُورِ ، ولاَ يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ[8]، بَلْ يُشاوِرُ ، ويَسْتَخِيرُ[9]، ويُرَاعِي الجَارَ – ولَوْ جارَ[10] – ، ويُؤَدِّي حُقُوقَ الخَلْقِ بما أَمْكَنَ ، وَلْيُسَامِحْ فِي حُقُوقِهِ علىٰ وَجْهِ اللهِ تعالَىٰ ، ولاَ يُخاصِمْ ، ولاَ يُجَادِلْ ، إنْ قَدَرَ علىٰ ذَلِكَ فهو أَوْلَىٰ . وإنْ لَمْ يَقْدِرْ عليه ؛ فاللهُ عزَّ وجلَّ أَبَاحَ لهُ شَرْعاً أَنْ يَأْخُذَ حَقَّهُ بِمَا أَمْكَنَ .

(1) سورة محمد، الآية: 21.
(2) سورة الأنفال، الآية: 71.
(3) مُنْفِقًا، جَواداً كَرِيماً.
(4) شَدِيدُ البُخلِ والحِرْصِ.
(5) وَلاَ يَحْتَقِرُ.
(6) البَاطِل.
(7) ولا يَتَدَخَّلُ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ.
(8) أي: لا يَقْبَلُ المَشُورَة.
(9) يَطلُب مِن أصحَاب التَّجارِبِ أنْ يَدُلُّوهُ على الخَيْرِ.
(10) ولو كان ظَالِماً.

فَإِذَا رَاعَىٰ الفَقِيرُ نَفْسَهُ ، كَمَا هُوَ المَطْلُوبُ مِنهُ ، فَلْيُرَاعِ أَيْضاً مَنْ تَعَلَّقَ به مِن أَوْلاَدِهِ ، وأَزْوَاجِهِ ، وعَبِيدِهِ ، وأَجِيرِهِ[1]، وجَمِيعِ مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ؛ «كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وكُلُّ رَاعٍ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2]، فَلْيَجْتَهِدْ فِي اسْتِقَامَتِهِمْ ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ مَنْ تَعَلَّقَ به ، لَمْ يَسْتَقِمْ هُوَ ، ولَوْ صَلَّىٰ وصَامَ وزَكَّىٰ وحَجَّ ، فَهُو يُعَذَّبُ بِعَذَابِهِمْ .

ومَا نَبَّهْتُ عَلَىٰ هذِهِ ، إِلاَّ أَنِّي رَأَيْتُ جُلَّ[3] النَّاسِ يَشْتَغِلُونَ فِي العِبَادَةِ بِرُؤُوسِهِمْ ، ولاَ يُفَرِّطُونَ ، وتَجِدُهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ مَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ ، ظَنّاً مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَكْفِيهِمْ قَوْلُهُمْ لَهُ: «نَحْنُ بَرِيئُونَ مِمَّنْ لَمْ يُصَلِّ» ، ويَجُوزُونَ[4]، ولاَ يَحْزَنُونَ ، ولاَ يَزْجُرُونَ[5]، ولاَ يَهْجُرُونَ[6]، ولاَ يَضْرِبُونَ ؛ هَيهَاتَ هَيْهَاتَ[7]، إِنَّ ذَلِكَ لاَ يَكْفِي . ولَوْ أَنَّهُمْ أَفْسَدُوا شَيْئاً مِن الدُّنْيَا لَهُمْ ، لاَ يَلْبَثُونَ[8]، ولاَ يَتَأَنَّوْنَ[9] عَنِ الهِجْرَانِ والضَّرْبِ ، وطَلاَقِ الزَّوْجَاتِ ، وفِرَاقِ الوِلْدَانِ ؛ فَيَا ضَيْعَةَ الدِّيْنِ[10]، ولاَ حَوْلَ ولاَ إِلاّ بالله ، إِنْ كانَ التَّفْرِيطُ فِي الذِينَ يَبِيتُونَ أَحْسَنَ بَيَاتٍ[11]، ويَقُولُونَ: «هَذَا خَيْرُ الأَوْقَاتِ» . وإِنْ كانَ فِي الدُّنْيَا ، لاَ يَبِيتُونَ إِلاَّ أَقْبَحَ بَيَاتٍ ، ويَقُولُونَ: «هَذَا شَرُّ الأَوْقَاتِ» ؛ بَلْ أَرَأَيْتُم أَحَداً طَلَّقَ زَوْجَتَهُ عَلَىٰ تَرْكِ الصَّلاَةِ ، أَوْ فَارَقَ وَلَدَهُ عَلَىٰ تَرْكِهَا؟ ، لاَ ، ولَكِنْ بِسَبَبِ أَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ ، لاَ غَيْرَ .

---

(1) الذي يَشتَغِلُ له مُقابل الأَجْر.

(2) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، من حديث عبد الله بن عمر؛ كتاب الجمعة: باب الجمعة في القرى والمُدُن (رقم الحديث: 893): 05/2.

(3) أَكْثَرَ.

(4) ويَنْصَرِفونَ ويَتْرُكُوهُم.

(5) ولا يَرْدَعُونَ.

(6) ولا يُفَارِقُوهُم.

(7) أي: ذلك بَعِيد الوُقُوع.

(8) لا يَنْتَظِرُونَ.

(9) لا يتَأَخَّرُونَ.

(10) أي: ما أَضْيَعَ الدِّينَ إن كانت هذه هي حَالُه (تَضيِع أحكام الدِّينِ بذلِكَ).

(11) بَاتَ ونَام على أَحْسَنِ حالٍ.

انْظُرْ كَيْفَ أَتَّى الشَّيْطَانُ – لَعَنَهُ اللهُ – هَذِهِ الأُمَّةَ، مِنْ جهَةِ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ: «يَكْفِيكُمْ إِذَا بَرَّحْتُمْ باللِّسَانِ[1]، فمَنْ أَرَادَ أَنْ يَفعَلَ فَلْيَفْعَلْ، ومَنْ لَمْ يُرِدْ، فَلاَ يَضُرُّ إلاَّ نَفْسَهُ»؛ كَذَبَ لَعَنَهُ الله.

فَائِدَةُ الوِلاَيَةِ[2] عَلَى أَحَدٍ: الأَمْرُ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيُ عن المُنْكَرِ؛ وهُمَا يَكُونَانِ بالفِعْلِ، واللِّسَانِ، والقَلْبِ. وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى اللِّسَانِ، فَبالقَلْبِ فَقَطْ؛ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»[3]، أَتَسْعَى[4] عَلَيْهِم فِي أُمُورِ الدُّنْيَا، ولاَ تَسْعَى عَلَيهِمْ فِي أُمُورِ الدِّينِ؟؛ بَلْ أُمُورُ الدِّينِ هِيَ الأَوْلَى؛ قَالَ عَز وجَلَّ لِنَبِيِّهِ المُخْتَارِ، وهُوَ لَنَا أَيْضاً: ﴿وَامُرَ اَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لاَ نَسْـَٔلُكَ رِزْقاًۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۖ﴾[5]. ولا تَأْمُرُوهُمْ باكْتِسَابِ الرِّزْقِ، وتَتْرُكُونَ الصَّلاَةَ، وتُقْبِلُونَ عَلَى الدُّنْيَا؛ لاَ، بَلْ أَقْبِلُوا عَلَى اللهِ كَمَا وَصَّيْنَاكُمْ فِي هَذِهِ النُّبْذَةِ، فَهِيَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَكُونُ السِّرَّ الكَبِيرَ، والخَيْرَ الشَّهِيرَ، لِجَمِيعِ الأَحْبَابِ.

وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وآلِهِ، وصَحْبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

انْقَضَى تَأْلِيفُهَا ضَحْوَةَ يَوْمِ الاثْنَيْنِ لِثَلاَثٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعِ النَّبَوِيِّ عَامَ 1304هـ،
عَلَى يَدِ الضَّعِيفِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ، مِنْ ذُرِّيَّةِ سَيِّدِي عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ،
الدَّرْقَاوِيِّ طَرِيقَةً، الإِلْغِيِّ وَطَناً،
أَمَّنَهُ اللهُ، آمِينَ.

---

(1) شَدَّدَ ووَبَّخَ قَولاً بِلِسَانه.

(2) سُلْطَتُه عَليه، لِقَرابَتِهِ، ووِصَايَتُهُ على شؤونه، والتَّتَبُّع لها.

(3) طَرف من حديث؛ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، من حديث جرير بن عبد الله؛ كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"، (رقم الحديث: 57): 21/1؛ والإمام مسلم في صحيحه، من حديث تَمِيم الداري؛ كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (رقم الحديث: 95): 74/1.

(4) يَتَوَلَّى نَفَقَتَهُم، وجميع أُمورهِم.

(5) سورة طه، الآية: 131.

كتاب "عقد الجمان لمريد العرفان"
رسالة صغيرة الحجم ، كثيرة الفوائد ، غزيرة العوائد ، جمعت أدلة طريق السلوك ، إلى معرفة ملك الملوك ، واستوعبت المنهج العملي الرصين ، لبلوغ أعلى مقامات اليقين ، وذلك بسبيك العبارة ، ما بين تصريح وتعريض وإشارة ، لتعود على مترسمها بجليل النفع وعظيم الجدوى ، في بابي العلم والتقوى.